

دراسات في القومية العربية 90

نصوص من تراث الخمسينات



محاضرات

في رحاب القوميّة العربيّة

أسعد طلس

علي عقيل

عبد الله أحمد حسين

عبد اللطيف الصالح





منشورات الطليعة

رسالة القوميين العرب

بقلم الاستاذ عبد الله احمد حسين

تتطاحن المبادىء ، وتتعارض الاهداف ، وتختلف الامزجة في كل بلد من بلدان العالم ، وتقوم لهذا الاحزاب والهيئات المختلفة ، وينهض الدعاة من خلف هذه الهيئات يذبون بالحق عنها حينا وبالباطل احيانا اخرى ، ولكن لا تلبث الحقائق الناصعة ان تثبت وجودها ، والواقع ان يفرض نفسه .

واليوم تنتاب الوطن العربي حمى مبادىء ، وخلط اهداف ونوازع ، واشترك في ميدان الشجار كافة الطبقات ، وتختلف الهيئات ، وبرزت رؤوس يفرض واقع الحياة اختفاءها ، واختفت اخرى كان عليها ان تتصدر الصفوف ، وتلمع بين مواكب المناضلين .

كل هذا والشعب العربي وسط هذا الجو الصاخب ينتظر الفرج ، ويترقب الوصول ، ويتطلع الى نور الحقيقة الناصع ، ويتلمس مواطن الابداع العربي الخالد ليمكن لرسالته الخالدة الذيوع والانتشار .

وقامت هيئات وقامت مبادىء منها ما يجر الى الخلف .. الى القبور ..

الى الحياة مع رفات الموتى ، والاقامة بين اللحود والاجداث .

ومنها ما اطغى اصحابها الجشع والطمع ، فلم يتجاوز نظرهم ما تحت اكفهم من ارض ولا من بين ايديهم من اناس فاصبح همهم خلق امة من بعض الامة وانشاء شعب من بعض الشعب ضناً بمراكزهم ومحافظة على مصالحهم،فاخذوا ينادون بالاقليمية رسالة ،والدعوة لتأييد الاستعمار في تقسيم الوطن العربي هدفاً ، متجاهلين واقع حياة الامم مخالفين طبيعة تكوين الشعوب .

ومنها ثعالب الطائفية ، وذئاب الرجعية التي استغلت ضعف الامة العربية ونزول النوائب عليها فاخذت تشحذ لها المدى وتتربص بها الدوائر وتذكي مراجل التعصب ، وقد هيأت ظروف الجهل المطبق المناسبة لها فتعالت الصيحات : هذا مسلم وذاك مسيحي وهذا سني وآخر شيعي ، فقام للتفرقة هدامون وشرع للفتنة مهمون ومقلدون وصاح للاستعمار دعاة جوالون يتنقلون تنقل الطير بين وكناتها فينشرون حيثما انتشروا بذور الشقاق والنفار ويغرسون اينما انغرست اقدامهم الاحقاد والأضغان .

ويتبع الدعاة دعاة خدعهم الجهل واصمام ضيق الافق فاصبحوا يرددون ما يردد سادتهم ويرتلون ما يرتل اشياخهم .

ولا ننس في هذا المجال ابناء لينين وستالين يريدونه اخاء عربيا صهيونيا ويحاولون قلب القيم واضاعة الثروة التاريخية العربية التي بذتها الاجيال الباسلة ، ويشيمون الفوضى ويهتفون بحياة اصنام وسقوط اصنام وامتهم صريعة الاستعمار الغربي ، ومؤامرة الدب الشرقي ، وضحية المبادىء الرجعية والشيوعية على السواء .

ثم الم بافراد امرهم عجب فهم بين دعي رسالة وبين منافق دجال يحملون علم القومية اليوم ، ويرفعون لواء الاقليمية غداً ، ويرتدون رداء الرجعية بين هذا وذاك . . . يعملون على اي وجه وبأية صورة ، همهم

ترضية فريق أو التقرب الى آخر ، فهم المتنقلون الخطرون بل هم الجراثيم تنقل العدوى وتشيع الوباء .

ووسط هذا الجو المعتم الخانق ، والجاهلية الجهلاء يرتفع صوت القوميين العرب مجلجلا ، وتأتلق دعوتهم ائتلاق الهدى وتسمو سمو الكمال ، فيرتاع لها الغرب ويحشد قواه لمناهضتها ، وترتعد منها الطائفية فتحاربها على المنابر والاطراس ، وترتجف لها جحافل الدجالين والمشعوذين والرجعيين والاباحيين فتعد الخطط ، وتبيّت نيات السوء للقضاء عليها . وهذا سر ذلك الهجوم العنيف الذي يشنه أعداء القوميين عليهم ، هذا سر تلك الحركات التي تحارب خلف الستار جميع الحركات التحررية والتقدمية في أرجاء الوطن العربي .

فالقومية العربية ليست ضيقة كما يدعي بعض المتنطعين بل هي واسعة رحبة تضم في حناياها اسمى المبادىء ، وانظم الاهداف ، وهي نتيجة حتمية فرضها الواقع على العرب منذ ان كانوا يعيشون قبائل ورحالة حتى اقاموا الدولة العربية ذات الحول والطول والرسالة الخالدة .

فهي لا تدعو الى العنصرية ولا تحارب من لا يقف في طريق التقدم العربي وهي لا تدعو الى حرب الاجناس وشجار الملل والنحل والعقائد ، وانما تحارب الطائفية والرجعية وآفات الامة العربية كلها لا حباً في الحرب وانما لأن هذه الامور قوة تقف في وجه الرسالة العربية ، واستخدام القوة عند الاقتضاء فرض توجبه المصلحة العليا عند حملة الرسالات في جميع الامم ومختلف العقائد والمبادىء .

والقومية العربية واقع عربي يجب الاعتراف به ، وكل حركة اريد بها وقف التيار القومي انما هي قوة عربية تصرف في غير ما يفيد وهي وان كانت لا تضر الحركة ضرراً مباشراً الا انها تضيع قوة عربية كان من الممكن الاستفادة منها ، وهنا يتضح ضررها غير المباشر على القومية العربية التي تهدف الى توحيد القوى العربية المناضلة لاسباب الوهن العربي

والوصول بالامة العربية الى مكانها الطبيعي اللائق .

والامة العربية امة واحدة يقولها العقل قبل العاطفة ، ويؤيدها الواقع الصريح قبل ان يشير اليها الشعور ، والارادة العربية التي تعبر عنها حركات العرب وان كانت تشل منها الآن قوى عديدة متضافرة فتلك القوى عارضة غير ازلية ولا تملك لنفسها البقاء والاستمرار .

والامة العربية في نظر القوميين العرب كائن حي خالد لا تجوز تجزئته الا اذا جاز تجزئة الجسم الواحد والا اذا جاز اعتبار كل جزء انساني مستقلا بكيانه قابلا للحياة بينه عن بقية الاجزاء .

وهي امة واحدة بلغتها وتاريخها وآمالها وآلامها ومصلحتها وارادتها العامة ، والارادة جزء هام في انتصار الدعوة القومية في اي وطن كان وهي تامة كاملة تنبض بالحياة في الوطن العربي .

وظهور بعض الانهزاميين ، والخائرين والنفعيين في ارجاء الوطن العربي ، واصحاب الدعوات الغريبة المزيلة لا يعد حجة على القوميين وانما هو حجة لهم لان لكل امة اسقاطاً ولا يضير الامة العربية ان يكون لها اسقاط كغيرها من الامم .

(فمصر اولاً) كما يشيع احسان عبد القدوس هذه الايام (القومية دعوة ضيقة الافق) كالهج بهذا بعض من ضاق فهمه عن مفهوم القومية ... كل هذه دعوات المتخلفين عن الركب ، والمنقطعة بهم السبل ،وكل هذه صيحات في واد واصحابهـــا هم المنبتون حيث لا ارضاً قطعوا ولا ظهرا ابقوا .

وكم يؤلم المخلصين ان يخدع الدهماء والغافلون وارباب البلاهة والاطفال المسترجلون بما يروجه اذناب الاستعمار من الرجعيين من ان الدعوة القومية تناقض الدين الاسلامي ،وان القوميين يروجون لمبادىء من شأنها المساس بالدين . ويعلم الله ان الدعوة القومية دعوة الى نهضة عربية شاملة تقوم بايدي العرب ، وتنهض على سواعدهم لتجتث اصول الفساد وتقضي على

الاوضاع التي من شأنها اذلال العربي واخماد نواحي الإبداع فيه وجعله دائماً وابداً عبداً ذليلاً مهطعاً رأسه لكل افاق ودجال ولكل طاغية او كاهن .

فنحن نريد ان يشعر العربي بوجوده ، وان يشعر به الاخرين . ان يعيش سيداً في ارضه ، حراً في وطنه ، قوياً في وحدته ، غنياً في نفسه ، واثقاً بحقه في الحياة، مؤمناً برسالته في هذا العالم، - مساهماً في الحضارة العالمية مساهمة فعالة .

نريده آخذاً معطياً في جميع اطوار حياته متفاعلاً مع العـــالم الذي يعيش فيه .

لا نريده درويشاً ، ولا اباحياً،ولانود ان نبحث عنه بين الاجداث اذا طلبناه،ولا نرغب ان يخدع بمبادىء تحطم قيمه وتشوه تاريخه وتضيع معالم حيته ، ولا يشرفنا اذا وقفت امامه مشكلة من مشاكل الحياةان يفتح جماجم الاموات ليستلهم الوحي من تجاويفها .

وانما نريده عقلاً نيراً ، وثقافة عالمية واسعة وقدرة آنية على حــــل المشكلات : مشكلات الاجتماع والسياسة والقانون وأي ناحية تنبع بعد هذا من مشاكل الوجود .

نريد ان يعالج العربي مشاكله ويتحمل مسؤوليات حياته ولا يطمع بعون من الآخرين سواء أكانوا شرقيين ام غربيين واذا فرض عليـــه الواقع الاتصال بهم او التقرب منهم فعلى ضوء المصلحة العربية وحدها ، او عليه ان يؤمن وجوده داخل حدوده العربية : من جبال طوروس والبحر المتوسط شمالاً الى البحر العربي وجبال الحبشة وصحاري افريقيا الوسطى جنوباً والى المحيط الاطلسي غرباًونهاية حدودعربستان الشرقية والخليج العربي شرقاً . نعم نريده داخل هـــذه الحدود وهذه فقط .. يعمل كما يقتضي ابداعه ، وكما كانت اوائله تعمل وتشيد ليسهم فيحضارة القرن العشرين والقرون التالية مساهمة انسانية تهدف الى الخير المطلق ،

وتحارب التعصب والطائفية بل كل ما من شأنه اذلال انسان لانسان .

وحين ندعو للعروبة لا ندعو الى عداء الاجناس وتطاحن الامم ، وانما ندعو للكرامة العربية ولان يعيش العرب في سلام على ارضهم الغنية عليهم حمايتها ولهم خيراتها ، كما يهدف القوميون العرب من دعوتهم الى القوة تقليم اظفار الطامعين ورد كيـــد المعتدين سواء اكانوا شرقيين ام غربيين .

وندعو للقومية لانها آخر المطاف بالنسبة لجميع الامم حيث تمر بدور طفولة تتمثل بحياة القبائل ثم تتطور تلك الحياة وتسمو حتى يجتمع ابناء الامة الواحدة تحت لواء القومية ، وهذا ما حدث لالمانيا وايطاليا وغيرهما من الامم الناضجة .

لذا فاللغة العربية الواحدة ، والتاريخ العربي الواحد والآمال والآلام المشتركة والارادة العربية المنبثقة من نفسيات افراد الشعب العربي هي الامور التي ستجمعنا غداً في صعيد واحد وتحت راية واحدة ولن نتأخر عن الوحدة وعن تسلم القومية العربية زمام الامور في الوطن العربي الا بقدر ما يتأخر الشعب العربي وهو في طريقه الى النضج والوعي الكامل

1 يناير 1954 عبد الله احمد حسين

العرب والوطنية قبل الاسلام وبعده

●

لقد عرف العرب — قبل الاسلام وبعده — معنى الوطن معرفة تامة اكثر من معرفتنا له اليوم ، فاحب كل فرد المجموع ، وسار المجموع في سبيل عربي واحد ، ففتحت ابواب السعادة والهناءة في وجوههم ،

وسادوا في بلادهم ثم ملكوا الدنيا الآهلة بالسكان ، واصبحوا علماء وحكماء وتجاروا وصناعا وزراعا واساتذة للعالم يبعثون بثقافتهم وحريتهم وتعاليم دينهم العالية ، حتى مطلع الشمس ومغربها .

لقد اتحدوا في وقعة ذي قار - قبل الاسلام - رغم اختلاف اديانهم ، ضد الفرس واتحد العرب الغسانيون في الشام مع العرب الأوسيين والخزرجيين في الحجاز - قبل الاسلام - ضد اليهود في يثرب وانضووا بسرعة تحت لواء النبي (ص) بعد ان قبلوا رسالته وتآخوا على السراء والضراء ، بعد ذلك التباعد والثارات ، وواسوا فقراءهم ، وعالجوا مرضاهم (بالمجان) وعدلوا فيما بينهم . وتساووا في الحقوق والواجبات ، واقاموا صرح الحكم على اساس العروبة ونظام الاسلام ، واجتهاد الأئمة والعلماء ، كل ذلك قد ابتدعوه بانفسهم من غير ان يروا له اثراً عند غيرهم ، ثم صارت قواعدهم ، انظمة عالمية تسير على غرارها حتى اليوم ارقى امم العالم ، كل ذلك لانهم كانوا يحبون قومهم وكانوا يريدون لهم وطناً عربياً كبيراً .

محمد (ص) وما قاله وما عمله : -

والنبي محمد (ص) كان يعمل لاجل وحدة العرب ، وسيادة العرب ، وقد جعل الخلافة في قريش بقوله « لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي منهم اثنان » (اخرجه الشيخان) .

وقوله - « الناس تبع لقريش في الخير والشر » (اخرجه مسلم) ذلك لان قريشاً اشفق الناس على العرب ، واقدر الناس على جمع كلمة العرب ، واقرب الى الرئاسة في العرب ، لان العرب ينزلون على رئاسة قريش وحكم قريش ، اكثر من نزولهم على رئاسة غيرهم وهو يريد بذلك ايضاً استبقاء الخلافة بالعرب ، وهذا للصالح الوطني .

جاء رجل من قيس الى النبي (ص) وقال له – « آلعن حميرا » فاعرض عنه ، فاعاد عليـــه ، فقال (ص) « رحم الله حميرا ، افواههم سلام ، وايديهم طعام ، وهم اهل امن وايمان » . (اخرجه الترمذي) .

وقال (ص) عن الازد « الازد . ازد الله في الارض ، يريد الناس ان يضعوهم ويأبى الله الا ان يرفعهم » (اخرجه الترمذي) .

وجاء الطفيل بن عمر الدوسي الى رسول الله (ص) فقال ان دوساً قد هلكت ، عصت وأبت ، فادع الله عليهم ، فظن الناس انـــه يدعو عليهم ، فقال (ص) « اللهم اهد دوساً وأت بهم » (اخرجه الشيخان) ، ذلك لانه يرى الامـة العربية واحدة ، والوطن العربي يجب ان يجمع تلك الامة، ويجعل كل فرد منها يفكر بالمجموع ويعمل لصالح المجموع . قال سلمان الفارسي قال لي رسول الله (ص) « لا تبغضني فتفارق دينك» قلت وكيف ابغضك يا رسول الله وبك هداني الله ، قال تبغض العرب فتبغضني (اخرجه الترمذي) ، وقال عثمان بن عفان (رض) قال رسول الله (ص) « من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ، ولم تنـــله مودتي » (اخرجه الترمذي) . وقال (ص) « من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد ، يريد ان يشق عصاكم ، او يفرق جماعتكم فاقتلوه (اخرجه مسلم) وذلك لتبقى الامـــة متحدة ، ويظل الوطن غير مجزأ . وقال (ص) « اذا ذلت العرب ذل الاسلام » (الامام السيوطي رقم ٦١٧) . وقال (ص) « احبوا العرب لثلاث، لاني عربي ، والقرآن عربي ، وكلام اهل الجنة عربي » (للامام السيوطي رقم ٢٢٥) ذلك لان العرب هم مادة الاسلام ، والوطنية الاسلامية هي الوطنية العربية ، لهـــذا كان (ص) يحض على العمل لرفع شأن الوطن العربي . وكان (ص) يعلم ان الدين الاسلامي سينتشر بين الاعاجم وان هؤلاء سيعملون على مكايدة

العرب ومنازعتهم على سلطانهم ، فكانت احاديثه الكريمة هـذه لهم ؛ لكي لا يقسوا على العرب ، وللعرب كي لا يدعوا مجالا لاعتداء الاعاجم على سلطانهم وعزتهم وسلبهم حقهم .

عمر بن الخطاب (رض) وأعماله :

وكان عمر بن الخطاب (رض) من اشد الناس تعصباً للعرب والوطن العربي ، ومما صنعه في ايام خلافته انـه افتدى سبايا العرب في الجاهلية وقال « انه ليقبح بالعرب ان يملك بعضهم بعضاً ، وقد وسع الله وفتح الاعاجم » وقال « لا ملك على عربي » يريـــد بذلك سيادة العرب وعز العرب .

(الطبري طبعة مصر سنة ١٩٣٨ ج ٢ ص ٥٤٩)

ولما نجح العرب في العراق بعـد موقعة جلولاء سنة ١٧ هـ قال عمر (رض) « لوددت ان بين السـواد ، وبين الجبل سد لا يخلصون « العجم » الينـا ، ولا نخلص اليهم ، حسبنا من الريف السـواد ، اني آثرت سلامة المسلمين على الانفال » (الطبري ج ٣ ص ٣٥) اي انه (رض) كان يريد ان يبقى الوطن العربي مصونا من عبث وتدخل الاعاجم ويبقى العرب في حرز حريز من دسائسهم . ومن وصيـــة عمر (رض) للخليفة بعده « اوصيك بالمهاجرين الاولين خيراً ، أن تعرف لهم سابقتهم ، واوصيك بالأنصار خيراً ، فاقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم ، واوصيك بأهل الامصار (اي العرب الذين سكنوا المدن) خيراً فانهم رده العدو ، وجباة الفيء ، لا تحمل فيئهم الا عن فضل منهم ، واوصيك باهل البادية خـــيراً فانهم اصل العرب ومادة الاسلام أن تأخذ من حواشي اموال اغنيائهم فترد على فقرائهم » ثم قال « انشدك الله لما ترحمت على جماعة

المسلمين (اي العرب المسلمين) فاجلات اميرهم، وارحمت صغيرهم ووقرت عالمهم ، ولا تضر بهم فيذلوا ، ولا تستأثر عليهم بالفيء فتغضبهم ، ولا تحرمهم عطاياهم عند محلها فتفقرهم ، ولا تجمرهم في البعوث فتقطع نسلهم، ولا تجعل المال دولة بين الاغنياء منهم ، ولا تغلق بابك دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم » .

(البيان والتبيين للجاحظ ج ٢ ص ٤٨ - ٥٠)

الحضارة العربية وأثرها في التربية القومية

محاضرة للدكتور أسعد طلس

قامت الحضارة الاسلامية بالامس بأيدي العرب فهي حضارة عربية في جذورها واصولها ، وقد عاون العرب في تكوين تلك الحضارة جماهير متعددة الاعراق متباينة الاجناس ، منها الآري والسامي ومنها المغولي، ولكن الطابع الواضح لذلك المزاج كله هو الطابع العربي بعنصريه الرئيسيين : اللغة والدين ، فطبيعي اذن أن لا نسمي تلك الحضارة الا حضارة عربية، ويمتد عهد هذه الحضارة العربية من فجر تاريخ الدول المتحضرة في جنوبي جزيرة العرب وشماليها منذ الالف الثاني ق. م. الى يومنا الحاضر هذا . وقد ظلت امم الفرس والترك والروم والمغول والهند والزنج والقوط والبربر منذ دخل فيهم الاسلام الى ما بعد سقوط الدولة

العباسية ، وهي تعمل في خدمة ركب الحضارة العربية ، ومما لا ريب فيه انها قد ادت لهذه الحضارة فوائد جليلة في كافـة الفروع التي تتكون منها حضارتنا ، من فلسفة وعلم وتربية وفن وزخرفة ، فقد تفانى هؤلاء الاقوام جميعا في تكوين ذلك البناء الرفيع الممتاز ، ولقـد زعم شعوبيو الامس واليوم من اعداء القومية العربية ان نصيب العرب في هذه الحضارة هو جزء يسير جدا، بل هو جزء لا يكاد يذكر بالنسبة الى ما قام به ابناء الامم المغلوبة ، فان العرب قبل ان يتصلوا بتلـك الامم كانوا يعيشون في جهالة جهلاء ، يأكلون الضباب ويلبسون خشن الثيـــاب وانهم قوم لا أخلاق لهم ، ولا دين يردعهم ، ولا مبادىء سامية الى الكمال تحضهم فلمـا جاء الاسلام اتبعـــه قوم فانصلحت احوالهم وأسلم له آخرون لم يلبثوا أن ارتدوا عنه بعد وفاة الرسول ، وكانت الردة ردتين ، احداهما شكلية رجعوا عنها ايام أبي بكر، والأخرى حقيقية ظلت بمده وظهرت آثارها في الفتن والحروب الداخلية التي قامت بينهم ، منذ مقتل عمر بن الخطاب الى ان قضى المغول على ملكهم يوم احتلوا بغـــداد ، وقضوا عـلى الملك العربي ولم يرتفع للعرب منذ ذلك اليوم صوت الا في أواخر عهد الخلافة العثمانية التركية حين شاخت دولتها وحين دفعهم بعض اعدائها من افرنسيين وانكليز للوثوب عليها فقام زعيمهم شريف مكـة الحسين ابن علي الهاشمي بثورته في الحجاز والشام.

وكان من أمر هذه الثورة ما كان ، هذا ما يقوله اعــــداء العروبة وخصوم الاسلام ، بل جهال الحقيقة والتاريخ، ولئن كان هؤلاء الضالون قليلين ذليلين في القديم،أو أنهم كانوا كثرة ولكنهم لم يكونوا يجرؤون على رفع عقائرهم بالأمس خوفاً من العرب الأقوياء الاعزة ، فأنهم في ايامنا هذه كثيرون في ديار مصر وأرض الشام بل وفي العراق معقل عز العرب وموئل مجدهم .

ان اعداء القومية العربية وخصومها الذين ينتقصون العرب اليوم هم واحد من ثلاثة : اما صهيوني مجرم يكره العرب ويعمل على تثبيت أقدام اليهود في فلسطين وتوطيد دولة اسرائيل الظالمة التي أخرجت العرب من ديارهم وانتهكت حرماتهم وداست مقدساتهم وامتلكت اراضيهم وبيوتهم بالباطل والعدوان، واما عميل خاسر من عملاء الاجانب وجواسيس المستعمرين ممن لهم مصالح استعمارية في ديار العرب، او ممن يطمعون في السيطرة على جزء من ديارهم، واما شعوبي ضال ملأ الحقد صدره وران الضلال على قلبه فاخذ يلصق التهم الباطلة بالعرب وينقب عن مساوئهم فينشرها بين الناس للفتنة والفساد، هؤلاء هم أعداء القومية العربية اليوم ولم يكن اعداؤها بالأمس الا من هذا النمط فقد كانوا واحداً من ثلاثة أيضاً : اما مجوسي فارسي حانق على العرب لقضائهم على دولة الأكاسرة وتحطيمهم لقنهم وهدمهم دينهم واحلال العربية والاسلام محلها، واما مغولي أو رومي نفخ فيه الغرور ووسوس في صدره ابليس فزعم له ان هؤلاء العرب الذين احتلوا دياره وقضوا على مملكته وفرضوا عليه دينهم ولغتهم وتقاليدهم وآدابهم ليسوا خيرا منه، ولا لهم من الماضي والقوة ما له، واما عربي ملحد استهواه الكفرة بقوميته وضحك عليه الهازئون بدينه فاتبع أهواءهم وضل ضلالهم زاعماً أنه حر التفكير، واسع النظر.

1 يناير 1954

من دساتير الشباب في الحياة

عبد اللطيف الصالح

●

ان الرجة العنيفة التي أصابت المجتمع العربي، فزلزلت قواعده أثر النكبة التي حلت « بالأمة المعذبة » — على ضوء حضارة الأمم المتمدينة

وعدالتها في القرن العشرين - أدّت الى تلك الانتفاضات القوية في بلدان الأمة العربية ،حيث أطاحت برجالات تربعوا على كرسي الزعامة والقيادة مدة طويلة ، نالت فيها شعوبهم ما لا تزال آثاره ماثلة للعيان ، من تصدع بنيان الهيئة الاجتماعية . وذلك يبين ان مهمة الشباب في البلاد العربية لم تعد سهلة يسيرة ، وانما هي صعبة تحتاج الى مجهود متواصل ، وعمل منظم ، وبصيرة وقادة ، حتى يسير الشباب في طريقه نحو اهدافه وغاياته التي من أجلها قام قومته التاريخية .

وهذه المسئولية لا يخف حملها عن عاتق الشباب ، الا اذا توفرت له الحياة المستقيمة ، ولا يكون ذلك الا عن طريق تهيئة « جو » اجتماعي صالح ، يدله على الواجب ، ويرسم له الطريق ، ويضع امامه خطوط الحياة واضحة لا لبس فيها ولا اضطراب بينها ، حتى يعرف ان له « دستوراً » في هذه الحياة ،عليه ان يتلو فقره كل يوم ، وحتى لايعود يسمع في الاندية والمجتمعات الا ما يحيي آماله ،ويضاعف من عزيمته ، نعم حتى لايعود يرى في البيت والمعاهد العلمية الا مايشد أزره ،ويدفعه للسعي ، يجب انْ نوجد ذلك الجو الاجتماعي او دستور الشباب في الحياة ، ليرى مستقبله امامه في رهبته وجلاله ، وحتى لا يكون الشباب « وهو أمل الامة المرتقب » سقط متاع في دنيا بني الانسان .

علينا ان نضع أمام أعين الشباب هذا الدستور ، وعلينا الا نسمح له ان يغفل عنه ، بل ندعوه ليجعله شعاراً له ، ودوماً يردد ان من دستور الشباب في الحياة :

وما للمرء خير في حياة   اذا ما عدمن سقط المتاع

لان المرء الذي لا يسود نفسه ، ولا يقيم لها من خلقه وعمله وزنا ، ومن ادبه مجداً غير جدير بهذه الحياة ، وكأنه مخلوق لا يعرف نفسه في ركب الوجود ، بل كأنما اجتمعت في نفسه مثالب الانسانية ، من ضعف

في العزيمة حيث لم يزاحم الايام وهي تزاحمه ،ولم يصبر على مكروهها حينما عجمته ، وليس من دستور الشباب في الحياة ان يكون بين مجموعته من تكون نفسه مجدبة من الاباء وخصال الخير ، يرضى ان يعيش في الحياة على نهج ما غناه المتنبي حين قال :

وفي الناس من يرضى بميسور عيشه ومركوبه رجلاه والثوب جلده

لان مثل هذا الفتى ان وجد في الأمة فهو بؤرة امراض اجتماعية ، لها خطرها على المستقبل وكيان المجتمع الذي تسمى لرقيه واصلاحه .

على الامة ان تجعل من دستور الشباب في الحياة ، ان يعرفوا ان للمرء مجدين ، بهما يعتز ويصول ، اول لهما مجد أمته الذي يجعله لا يغض الطرف ولا يغضي حياء وذلة ان تناشد القوم الفخر وداخلتهم الكبرياء ، وثانيهما مجده النفسي المؤثل على كرامته وعزته ،وهذا المجد هو الذي دفع الشعراء حتى عطروا شعرهم بشذاه ، هذه الخصلة الجيدة هي التي اتعبت المتنبي ، فكلفته التهجير في كل مهمة ، حتى ود من الايام ما لا توده ، وغالى بنفسه وعزته مغالاة لم يجار فيها حين يقول :

فلا عبرت بي ساعة لا تعزني ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما

هذه القوة الشعورية يجب ان تكون في دستور الشباب حيث صورها ذو الاصبع العدواني في قوله :

عف يؤوس اذا ما خفت من بلد هونا فلست بوقاف على الهون

والله لو كرهت كفي مصاحبتي لقلت اذ كرهت قربي لها بيني

هذا المجد النفسي نحن بحاجة اليه،لان المجد الاول « مجد الامة» مسطر في سجل الدهر ولوح الوجود ، ولكن هذا الشعور العنيف بالعزة ومكارم الاخلاق يجب ان نحرص عليه، وان يكون من دستور الشباب في الحياة حتى يجمع المجد من طرفيه وعندئذ يقول :

وكم طالب رقى بنعماه لم يصل اليه وان كان الرئيس المعظما

اذا قيل هذا منهل قلت قد أرى ولكن نفس الحر تحتمل الظما

ولئن كان الزمن رمى مجدنا فارتجت قواعده، وتصدع بنيانه ، ورمى منا الكرامة فأدماها ، وجعل « ثعالب الانسانية » تنهش اسمنا وسمعتنا ، ففي المحافظة على العزة النفسية ومجدها سبيل الوصول، والعودة الى الماضي المجيد ، وفي وضع دستور الحياة للشباب في المجتمعات والبيت والمدارس ما يجعلنا ان نخرج من معترك الحياة بالنصر كما خرج منها الآباء والاجداد، وذلك ان أحسنا ايجاد الجو الاجتماعي والتربية الخلقية التي تقوم على اساس قوله تعالى « ولله العزة ولرسوله والمؤمنين » وعلى اساس قول القائل :

اذا صغرت نفس الرجال واهدرت كرامتهم فالموت خير واجدر

اذا جعلنا ذلك اساس التربية الخلقية ، ودستوراً للشباب في الحياة ، فهناك انتفاضات اخرى وهزات ثانية ، يرقب العالم غبارها ودخانها ، وسيشع منها نور الامل والمستقبل للشباب ان عرف دستور حياته وأحكم وضعه والسير عليه ، اما اذا لم نوجد للشباب الجو الصالح والتربية القوية ، فمدى نجاح الشباب في الحياة سيكون محدوداً. وربما كانت هذه «الصحوة» في البلاد العربية مؤقتة لتعود الى حالتها الاولى من نوم عميق وركود طويل قاتل ، وفي هذا بلاء ايما بلاء وانتكاس لا يرجى البرء منه .

اوجدوا جواً صالحاً ودستوراً خلقياً للشباب في حياته الاجتماعية حتى ينهض بهمته، ثم انظروا الى ما يسطر في صفحة الوجود وما يشيد للخلود .

عبد اللطيف الصالح

1 مارس 1953

الحل القومي لمشكلة فلسطين

عدي عقيل

إن كارثة العرب القومية في فلسطين في ذكراها الاليمة السابعة ،

وليدة إجرام الدول الاستعمارية الغربية والشرقية ، ونتيجة خيانة الفئات الحاكمة العربية ؛ يصبح الكلام عنها في هذه المرحلة العصيبة التي يجتازها الشعب العربي ، ويحيك فيها اعداؤه من مستعمرين وعملاء مؤامراتهم ضد سلامته وحريته وحياته ، يصبح الكلام عن هذه الكارثة التاريخية عزاء جافاً وهذياناً عابراً لا يغني شيئاً ولا يلبي حاجة ما لم ينبثق تعبيراً حياً عن بعض أوجه الصراع الايجابي ، وتجسيداً نابضاً عن بعض مجالات العمل المنظم الواعي في اعادة بناء الحياة العربية كلها من جديد.

لقد وقعت الكارثة ، وكانت البداية فيها تلك القرون الخمسة تحت وطأة الاستعمار التركي التي اسلمتنا الى الضعف والانحلال ؛ حكام عاتون مستبدون اقطاعيون ، سلبونا أرضنا ، وشوهوا مزايانا ، وعبثوا بامجادنا وتاريخنا وفصلونا عن تيار الحياة ؛ فعشنا في فقر ، ودرجنا في مرض ، وحيينا في جهل وخرافة . ولولا هذه الاصالة المتينة لشخصية امتنا العربية الخالدة التي قارعت كل هذه القوى العاتية للشر والظلم والطغيان فانتصرت عليها وخرجت منها سالمة ، لكان قضي علينا بالتلاشي والفناء الساحق .

وقعت الكارثة . وكان من المتوقع ان تكون ، فمنذ انزاح عن صدر شعبنا كابوس الاستعمار التركي مخلفاً وراءه رواسبه وآثاره في التأخر الاجتماعي وفي النظام الاقطاعي ، أطبق على شعبنا كابوس آخر ، اشد وطأة وأفدح ظلماً وانكى عدواناً . ذلك هو الاستعمار الغربي الذي تحالف مع فئاتنا الحاكمة الاقطاعية في الاستغلال والاستثمار : جزأت دوله المجرمة وطننا ، ونهبت فيما بينها مواردنا وخيراتنا ، وافسدت أساليبه المضللة افكارنا واخلاقنا ، وساوم بالعروش والمصالح الشخصية

على مصائرنا ؛ أغض الحاكم التركي المستبد عبد الحميد عن الهجرة اليهودية، وقبل فيصل في باريس سنة ١٩١٩ مضللاً او مختاراً بالوطن اليهودي القومي . وتدخلت الحكومات العربية لصالح الصهيونية والاستعمار البريطاني في وقف اضراب عام ١٩٣٦ ، ورفض المندوب السعودي في مؤتمر بلودان ربط المشكلة بالنفط .

وكانت الواقعة فدخلت الجيوش العربية ولم تدخل ، استوحت اوامرها من عائلات حاكمة متنافسة فقدت بينها الثقة ، فالقت السلاح وهي في قلب العدو ، وتراجعت وهي قاب قوسين من النصر ، لم تخرجها الهزيمة ، بل اخرجتها السياسة الخائنة ، والرؤوس الفارغة ، والضمائر المريضة . قبلت الحكومات العربية الهدنة الاولى ، ثم قبلت الثانية . شرد مليون عربي ما زالوا في الخيام يفتك بهم الجوع والمرض والموت . قامت دولة اسرائيل في مثل يوم أمس ، وأعلن الانكليز انتهاء انتدابهم بعد ان اطمأنوا الى قيامها في مثل هذا اليوم ، واعترفت الولايات المتحدة الامريكية بهذه الدولة في مثل يوم الغد ، وحشدت هيئة الامم المتحدة كل شجاعتها لسحق معاني الخير والحق والعدالة فانتصرت للصهيونيـة الفاجرة وأقرت الاعتراف بدولتها .

كانت الكارثة القومية في فلسطين ، وليدة الضعف العربي العام ، ونتيجة فساد الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في الوطن العربي مما في ذلك من شك ، استغلها الاستعمار الاجنبي وزاد في استفحالها ، واتحدت مصالحه مع مصالح الفئات الحاكمة في الابقاء على هذا الحال ، فساروا متعاونين . فالتجزئة الاقليمية والكيانات السياسية التي حققها المستعمر بعد كل ما عاناه العرب من مرارة التجربة بالكارثه وهولها ؛ هذه التجزئة التي تشكل السبب الأساسي في هذا الضعف ؛ ما زالت تزداد رسوخاً وتمتد عروقاً تبعاً لمصالح الحاكمين واسيادهم المستعمرين . والنظـام

الاقطاعي الذي يتمثل في استغلال الفئة القليلة لجماهير الشعب العربي وتحكمها بأقداره ومصائره ودفعه تحت وطأة هذا الاستغلال الى الفقر الذي يمين على اعداد جيل صالح قوي ، ولا على انطلاق مواهب وامكانيات شعب عظيم ، ولا على اتاحة فرص متكافئة في الحياة الحرة الكريمة ؛ هذا النظام بل هذا الظلم الاجتماعي ما زال يحد من فعاليات الشعب العربي ، ويبعده عن استلام مقدراته في حكم نفسه ، وما زال يضع هذه المقدرات في ايدي هذه القلة التي لاتمثله وانما تمثل مصالحها ومصالح طبقتها .

وحل مشكلة فلسطين انما هي جزء من حل مشكلة العرب الكبرى وهي على هولها وخطورتها ليست الا احدى النتائج الطبيعية لوضع المجتمع العربي القائم على الظلم والجهل والاستثمار والاستعباد . فحلها انما هو في ارساء القاعدة الشعبية قبل كل شيء على مصائر الأمور ؛ فليست الضمانة في حل هذه المشكلة الثقة بأن هذه الحكومات المتفرقة المتنابذة غير الشعبية هي التي ستظل أمينة على تحقيق ارادة الشعب العربي في القضاء على اسرائيل .

ان اكثر هذه الحكومات في اشخاصها الموجودين وفي سياستها الراهنة كانت ممن شهد المأساة وتفرج عليها بل وساهم فيها ، وان البعض الآخر من هذه الحكومات ما يزال يربط سياسته عن روية وتصميم واختيار واستهتار بعجلة الاستعمار الذي خلق اسرائيل وفرض بقاءها وحمى وجودها . أقرت هذه الحكومات الضمان الجماعي فلم يعد ان يكون حبراً زوّق على ورق ، لان مصلحة العائلات الحاكمة مازالت تعد فوق مصلحة الشعب . وانقسمت هذه الحكومات الى معسكرين : جنح الأول صراحة الى صف اعداء الشعب العربي والى الدفاع عن مصالحهم في وطننا ، وتذبذب الثاني امام جدية مشروع الاتحاد العربي فما

زال يراوغ ويماطل .

ليس الحل في مشكلة فلسطين الحل الآني الذي يستجدي الضمير العالمي في مشكلة اللاجئين بعد ان جربنا افلاسه ، لأن المشكلة ليست مشكلة لاجئين يعودون الى وطن محتل ، وانما مشكلة وطن سليب فلا بد من ان يسترد ، وليس الحل يقوم فحسب على هذا العمل السلبي في فرض الحصار الاقتصادي والمقاطعة العربية لاسرائيل بالرغم من جدواه النسبي في هذه الفترة ، لنظن انه وحده كفيل باستسلام اسرائيل والانتصار عليها ، وهي التي تمونها الموارد العالمية الصهيونية والدول الغربية كلها ، وتغزو بضائعها اسواقنا متنكرة تحت بضائع الدول الاستعمارية من اصدقائها المتعهدين ببقائها والفارضين كيانها .

ان الحل الاساسي الجذري هو في تصحيح الاوضاع الفاسدة كلها في الوطن العربي واعادة بنائها من جديد . الحل في انطلاق الحركة الشعبية في طريق ثوري تقدمي منظم يجرف الظلم الداخلي والخارجي في آن واحد ، الحل في قيام حكم شعبي في الوطن العربي يضع حياة العرب في تيار العصر الحديث فيؤسس قواعد القوة ويفجر مكامن الطاقة في الشعب العربي . ان اسرائيل التي كتبت على جدار برلمانها هذا الشعار : حدودك يا اسرائيل من الفرات الى النيل ، لم تقصد به مجرد العبث واللهو ، انها لن تقف عند حدود فلسطين بل انها تتوثب الى غزو جديد ، واذن فلم يبق للشعب العربي ان يختار فهو اما ان يبرهن عن استحقاقه للحياة واما ان يواجه الموت والفناء . الطريق شاق وطويل وغاص بالعرق والدمع والدم ولكنه صحيح وامين ، فلن تخدعنا الطرق السهلة ولا الاساليب المرتجلة . لن نكسب الجولة الثانية بحكومات متفرقة متنابذة غير شعبية يتلاعب بها الاستعمار ، وتسيرها شهوات الاسر الحاكمة ومصالح الفئات الاقطاعية والرجعية ، وانما سنكسبها بوحدة عربية منبثقة عن نضال شعبي

محض لا شائبة فيه . ولن نكسب الجولة مكبلين مسلوبي الحرية بعيدين عن استلام مقدارتنا والتحكم بثرواتنا تسومنا القوة ويحكمنا الاقطاع وانما سنكسبها بحكم شعبي ديمقراطي . ولن نكسب الجولة الثانية بوطن تستمتع بموارده وثرواته القلّة وتعيش جماهيره الشعبية في العوز والفاقة والجهل والجوع والمرض ؛ فيجابه بها امرائيل وقوى العالم التي مكنت لامرائيل ، وانما سنكسبها بعدالة اجتماعية ينطلق بها الشعب كله قوياً قادراً خلاقاً مبدعاً .

عبثاً نتبنى لمعالجة الوضع الفاسد في وطننا حلاً غريباً عنا لم ينبثق من تجاربنا وواقعنا ، ولا يؤمن بقوميتنا ولا بتاريخنا ولا برسالتنا ، وعبثاً نقول بقومية عفوية تميل الى الارتجال وترضى بالترقيع وانصاف الحلول ، ولا تحاول ان ترسي قواعدها على اسس علمية في العمل الايجابي والنضال المدروس والبنـــاء الجماهيري المنظم والمحتوى الاقتصادي للفكرة . وعبثاً نرجع القهقرى فنتبنى لمشاكلنا الآنية ولواقعنا الراهن حـــلولاً أدت دورها التاريخي واستنفدت حوافزها وحاجاتها القديمة منقطعين عن ركب التطور .

الحرية والوحدة العربية والعدالة الاجتماعية هذه الاهداف الثلاثة هي اهـــداف الشعب العربي وفيها حل مشكلته الكبرى بما فيها مشكلة فلسطين . طريقه الى تحقيقها ايمانه ونضاله وتضحيته . لن تحقق الوحدة العربية بعد تجربة اربعين سنة مشروعات كمن وراءها الاستعمار الاجنبي . ولن تحقق الوحدة العربية حكومات استسلمت في سياستها وربطت مصيرها بركاب الاستعمار . ولن تحقق الوحدة العربية والعدالة الاجتماعية وحرية الشعب حكومات اقطاعية يستلزم بقاؤها هذه التجزئة وهذا الاستغلال. ليست المسألة مسألة عقل يبتذل فحسب ؛ وانما هو الواقع يتحدى ، والتجربة تنطق ، ومنطق الاشياء يحكم . انه النضال

وهذا الاستغلال. ليست المسألة مسألة عقل يبتذل فحسب ؛ وانما هو الواقع يتحدى ، والتجربة تنطق ، ومنطق الاشياء يحكم. انه النضال الشعبي العام وحده ليس غير، هو البناء الحقيقي لتحقيق هذه الاهداف، فإذا استقطبت هذه الاهداف في عقيدة راسخة وقفنا وجهاً لوجه امام مسئولياتنا التاريخية في التبشير بها بين جماهير الشعب العربي ، وهيهات ان يقف دونها كيان مصطنع او حدود وهمية، فانطلقت قوة هائلة ينتظمها هذا النضال الشعبي العربي العام فهنالك بداية الخلاص .

ان الاجيال القادمة ستدينا في هذه الجهود المبعثرة التي تذهب هدراً . دون ان يجمعها هدف موحد ، وعمل منظم . كلنا طلاب وحدة عربية وحرية شعبية وعدالة اجتماعية فما جدوى العمل الاقليمي ؟ وما بقاء النزوات العابرة والاهواء الشخصية والانانيات الحقيرة تجاه المهمات التاريخية . انه ما لم تنطلق الحركة الشعبية العربية في طريق موحد فلا حل للمشكلة . وما لم يشعر الفرد العربي بأن وجوده انما هو في وجوده المعنوي القائم على اساس الحرية والكرامة مرتبطتين بحرية شعبه وكرامته فلا حل للمشكلة .

ان البداية في وسط هذا الانحلال الاخلاقي الذي اشاعه فينا فساد الواقع هو الايمان بأنفسنا وبشعبنا. في هذا الايمان مفتاح الخلاص ومنبع القوة وهو وحده الكفيل بدعم الاحداث وتسخيرها. ان المعركة بين الشعب العربي واعدائه في هذه الرحلة التاريخية التي نجتازها معركة حياة او موت . فكل منا مواجه قدره ومتحمل مسؤليته حيث لا فسحة للتفرج ، ولا وقوف الا امام الواجب او الخيانة .

عدي عقيل

